أثر السياق في التحول الدلالي

دراسة لأسلوب القسم في القرآن الكريم

الطالبة: ميسومي نور الهدى — الأستاذ الدكتور: زروقي عبد القادر

مخبر الخطاب الحجاجي — مخبر الخطاب الحجاجي

جامعة ابن خلدون ـ تيارت ـ الجزائر — جامعة ابن خلدون ـ تيارت ـ الجزائر

ترمي مهمة الأسلوبية إلى الكشف عن الحيل التعبيرية ضمن الوسط اللغوي الذي تختص به، وداخل المناسبات التي تقضي بها، لأن هذه الحيل تُضيف إلى الفكرة مجموعة الحيثيات والملابسات المحيطة بالنص، والتي تشمل مساحة كبيرة من السمات اللغوية تساهم في إحداث بالغ الأثر للأفكار، ولهذا نجد الأسلوبية التأثيرية (أسلوبية مايكل ريفاتير) تقوم على معيار السياق، إذ أن السياق يقوم بدور القاعدة التي ترصد الخلفيات الكامنة في الذهن والمستقلة عن جميع الاستعمالات، وهذه الرؤية نستقيها من كون السياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الاستعمال اللغوي للألفاظ بالرغم من المعاني المتنوعة التي قد تحملها، كما أن السياق يمنح هذه الألفاظ صفة التحرر من المعاني التي التصقت بها بحكم الاستعمال المتكرر والمختزن في الذاكرة، ومن ذلك نستطيع فهم الوجود الحي للألفاظ والعامل الذي يُكسبها صفة الحضور. وفي هذا الصدد رأينا أن أسلوب القسم الذي غالبًا ما يؤتى به لغايات تأكيدية إنما يتوجه عنها لمقاصد أخرى تحت تأثير عامل السياق، ونظرًا للدور الذي يلعبه هذا العامل في توجه الدلالة، سنسعى في هذه الدراسة إلى الإفادة من معطياته علنا نبلغ ما يكشف عن هذا الأثر، لأن السياق من أهم العوامل التي استند إليها علماء العربية في مهمة الكشف عن أسرار الخطاب القرآني.

الكلمات المفتاحية: الخطاب القرآني؛ الحيل التعبيرية؛ الأسلوبية؛ المعنى؛ النص؛ اللغة.

Contextual Impact in Semantic Transformation
Study of the Style of the Swearing in the Holy Quran

Abstract: The stylistics mission is to reveal the expressive tricks within language, which specializes in it, and within the required events, because these tricks add to the idea lots of rationalities and circumstances surrounding the text, which includes a large area of linguistic features that contribute to the creation of a deep impact of ideas, and that we

تاريخ تسليم البحث: 22 أفريل2017.

تاريخ قبول البحث: 14فبراير2018.

find influential stylistic (Michael Rafatyr's stylistics) is based on the context criterion, as the context plays a basic role, which monitors backgrounds inherent in the mind and independent of all uses, and this vision is taken from the fact that the context imposes one particular on the linguistic use of the words value despite the different meanings that it may bear, The context also gives these words the freedom of the meanings that have been adopted by the repeated use stored in memory, and from this we can understand the living presence of words and the factor that makes it earn the feature of presence. In this regard, we have seen that the style of swearing, which is often brought for affirmative purposes, is intended for other purposes under the influence of the contextual factor. Regarding the role played by this factor in the direction of significance, we will seek to use this data publicly, because the context is one of the most important factors on which the Arabic scientists focused so as to reveal the secrets of the Koranic discourse.

Keywords: Quranic discourse, expressionism tricks, stylistic, meaning, text, language

- **علاقة السياق بالمعنى:** يشكل السياق محورا مركزيا في تحديد السمات اللغوية للنصوص، القائمة أساسا حول ثنائية اللفظ والمعنى، لأن التفاضل الحاصل بين النصوص يحدث من خلال نمط الأسلوب وتركيب الألفاظ أكثر منه في مفرداتها، لذلك كان محور التعرف على الإجراءات الأسلوبية متعلقا بالسياق، يقول الفيلسوف برتراند راسل:" الكلمة تحمل معنى غامضًا لدرجة ما، ولكن المعنى يكتشف فقط عن طريق ملاحظة استعمالاتها، الاستعمال يأتي أولاً، وحينئذ يتقطر المعنى منه "[1].

ولأن السياق له دور جوهري في فهم المعنى، مع الأخذ بعين الاعتبار تلك الأحكام المسبقة الخاصة بكل قارئ تبعًا لردود فعله وذوقه، فإن هذا الدور يستحيل أداة للحكم على النص وإحداث التمايز بين المبدعين، وذاك ما تنبّه له عبد القاهر الجرجاني (ت: 471هـ) حين قال: " لا سبيل إلى أن تجيء إلى معنى بيت من الشعر، أو فصل من النثر، فتؤديه بعينه وعلى خاصيته وصفته بعبارة أخرى، حتى يكون المفهوم من هذه هو المفهوم من تلك، لا يخالفه في صفة ولا وجه ولا أمر من الأمور. ولا يغرنك قول الناس: "قد أتى بالمعنى بعينه، وأخذ معنى كلامه فأداه على وجهه... "[2].

وما ذاك إلا لأن تأمل العلاقات التي تربط بين التراكيب وتؤثر في جماليتها تُراعى فيه الاستعمالات الفنية للغة، وتُفحص فيه معاول الخطاب، وقد تفطن النحاة المتقدمون إلى أهمية السياق في صناعة المعاني، وخير دليل على ذلك اهتمام سيبويه (ت: 180هـ) بالبحث في خروج الاستفهام عن أصل معناه، فعلق على التوبيخ الذي يحمله الاستفهام في قولك: أتميميا مرة وقيسيا أخرى؟ بقوله:" وإنما هذا أنك رأيت رجلا في حال تلون وتنقل، فقلت: أتميما مرة وقيسيا أخرى، كأنك قلت: أتحول تميميا مرة وقيسيا أخرى. فأنت في هذه الحال تعمل في تثبين هذا له، وهو عندك في تلك الحال في تلون وتنقل، وليس يسأله مسترشدا عن أمر هو جاهل به

ليفهمه إياه ويخبره عنه، ولكنه وبخه بذلك"[3]. كما أنه قد تنبه لدور السياق في إبراز قيمة التوكيد والتقرير للاستفهام، يقول معلقًا على قول الفرزدق:

ألم ترني عاهدت ربي وإنني ... لبين رتاج قائما ومقام

على حلفة لا أشتم الدهر مسلما ... ولا خارجا من في وزر كلام

"فإنما أراد: ولا يخرج فيما أستقبل، كأنه قال: ولا يخرج خروجا. ألا تراه ذكر "عاهدت" في البيت الذي قبله فقال: ولو حمله على أنه نفى شيئا هو فيه ولم يرد أن يحمله على عاهدت جاز"[4]. وقد انصب اهتمام أسلوبية ريفاتير على تحقق الانحراف الداخلي عن السياق (العدول عن اللغة الاعتيادية)، ويحدد ريفاتير معيار الانحراف بالسياق الخارجي، ويسمي وحدته الأساسية السياق الأصغر، فهما مع الانحراف يكونان مسلكًا أسلوبيًا، نحو وصف الشيء بما لا يعد من صفاته، كأن يقال: شمس سوداء أو ضوء خجول، فالاسم الأول من العبارتين سياق أصغر والوصف مخالفة أو انحراف، ويضع ريفاتير المعادلة التالية:

سياق أصغر + مخالفة = مسلك أسلوبي.

ويمكن لهذا السياق الأصغر أن يدخل في سياق أكبر، ليشكل سلسلة لغوية ممتدة يكون السياق جزءا منها، ولا تنحصر داخل حدود الجملة النحوية أو عدد معين من الجمل، وإنما تتحد نهايتها بشعور القارئ، كما تتحد بدايتها بقدرته على التذكر ويعين ريفاتير شكلين أساسين للسياق الأكبر:

سياق + مسلك أسلوبي + سياق

سياق + مسلك أسلوبي يبتدئ سياقًا أسلوبيًا جديدًا + مسلك أسلوبي[5].

إن ريفاتير كما هو واضح يجعل من تتابع الرموز اللغوية معيارا للعلاقة التركيبية التي تنشئ بينها، ليكون بذلك الأسلوب محصلة لعناصر لغوية متقابلة مع تركيب السياق، لأن اللجوء إلى النادر وغير المتوقع، يُعد انحرافا وعدولا لغويا يبرز الخاصية الأسلوبية، ويساهم في إحداث التمايز بين المبدعين.

ويعترض ستيفن أولمان على استخدام فكرة السياق الأكبر في ظل وجود سياقات متسلسلة للوقائع التي نتعامل معها، سياقًا داخل سياق، وكل منها يكوّن وظيفة أو عضوا في سياق أكبر منه، وكل السياقات تجد مكانا فيما نسميه سياق الحضارة[6]. لأن السياق الأسلوبي يمتد ليطال السياق الخارجي عدا السياق اللغوي، وعليه من غير المنطقي أن يُحصر السياق الكبير في الجانب اللغوي للنص فقط، باعتبار وظيفة السياق هي محاكاة جميع جوانب النص الأدبي من سياق معرفي وتاريخي واجتماعي، فكلها عوامل مؤثرة في السياق اللغوي وتساهم في إبراز الجانب الإبداعي للغة وعكس الثقافة الخاصة بطبيعة المخَاطِب.

وقد طوّر فيرث استعمال سياق الحال (المقام عند القدماء) في دراسته اللغوية، فهو عنده نوع من التجريد من البيئة، أو الوسط الذي يقع فيه "الكلام"، و"سياق الحال" يشمل أنواع النشاط اللغوي جميعا كلاما، وكتابة. وهو جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي "أو للحال الكلامية"، ومن هذه العناصر المكونة للحال الكلامية:

1- شخصية المتكلم والسامع، وتكوينهما "الثقافي" وشخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم والسامع -إن وجدوا- وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي.

2- العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة والسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي كحالة الجو إن كان لها دخل، وكالوضع السياسي... إلخ.

3- أثر النص الكلامي في المشتركين، كالاقتناع، أو الألم، أو الإغراء أو الضحك[7].

فإن سياق الحال بذلك يساهم في دراسة الخصائص اللغوية التي تعمل على تحديد وظيفة الخطاب، حين يتحول من سياقه الإخباري إلى عملية جمالية تأثيرية. لأن القواعد المنهجية في تحليل النص التي تعتمد على سياق الحال بدرجة أولى تتيح لنا التقرب من المُخَاطِب ومعرفة الخبايا التي يحاول التواري خلفها من خلال اللغة، كما أتاح الأسلوب له أن يتخطى طبيعة الخطاب السردي إلى ثنايا القول الداخلي الذي يكتنفه.

وذاك ما عزز موقف ستيفن أولمان من خصوصية الأسلوب ومفهوم اللغة الخاصة التي يعرفها بأنها "مجموع العادات اللغوية لشخص واحد في وقت معين"[8]. وبما أن التقوية الأسلوبية تنتج من إدخال عنصر غير متوقع في نسق، فهي تفترض إشعارا بالانقطاع الذي يغير السياق، وهنا فرق جوهري بين المفهوم الشائع لكلمة السياق، وبين السياق الأسلوبي، فليس السياق الأسلوبي ترابطيًا، أي ليس السياق اللفظي الذي يقلل من تأثير المشترك اللفظي أو يضيف إيحاءات إلى لفظة ما، بل السياق الأسلوبي هو نسق لغوي يقطعه عنصر غير متوقع، والتقابل الذي ينتج عن هذا الاقتحام هو المثير الأسلوبي، ويجب ألا يفهم هذا الانقطاع على أنه من باب الفصل، فقيمة المقابلة الأسلوبية ترجع إلى نظام العلاقات الذي تقيمه بين العنصرين المتصادمين، وما كانت لتحدث أيّ تأثير بدون وصلهما متتابعة[9]. ومن هذا المنطلق يحدد ريفاتير علاقة السياق بالتضافر السياقي، وهو عنده:" تراكم عدد من المسالك الأسلوبية المستقلة عند نقطة معينة... وهي مجتمعة، فإن كلا منها يضيف طاقته التعبيرية إلى سائرها، والغالب الأعم أن تتناصر تأثيرات هذه المسالك الأسلوبية، فتتميز بقوة لافتة"[10].

فالسمات اللغوية التي يتميز بها النص كالترتيب والحذف والذكر والتكرار، والعطف....إلخ، تلعب دورا في تميّز النص عن غيره، ويتضح أن من أهم خصائص "سياق الحال" إبراز الدور الاجتماعي الذي يقوم به المُخَاطِب وسائر المشتركين في العملية التداولية

للخطاب. كما أن البنية الأسلوبية للنص تتحدد من خلال القيم التعبيرية الموسومة له. حيث يمثل ريفاتير للتضافر السياقي بجملة يجتزئها من رواية "موبي دك" "لهرمان ملفيل"، هي: (البحر الأسود يتنهد ويتنهد، ولا يزال يتنهد، ولا يتهدهد، وكأن أمواجه المترامية ضمير)، "منبهًا إلى أهمية تناصر عدد من المسالك الأسلوبية في الجملة (قلب الترتيب العادي للجملة، تكرار الفعل، الإيقاع الذي يتولد من التكرار، وعطف الجمل، السجع) في إحداث المفاجأة للقارئ"[11].

ومما تجدر ملاحظته أن التحليلات اللغوية كلها على المستويات المختلفة ليست المعنى ولا هي دراسة المعنى، فلا بد للوصول إلى المعنى من الربط بين النتائج التي توصل إليها هذه التحليلات ربطا يدخل في اعتباره سائر عناصر "سياق الحال". لأن الوصول إلى معنى أي نص لغوي يستلزم:

1- أن يحلل النص اللغوي على المستويات اللغوية المختلفة "الصوتية والفونولجية، والمورفولوجية، والنظمية، والمعجمية".

2- أن يبين "سياق الحال": شخصية المتكلم، شخصية السامع، جميع الظروف المحيطة بالكلام... إلخ.

3- أن يبين نوع الوظيفة الكلامية: تمن، إغراء ... إلخ.

4- وأخيرا يذكر الأثر الذي يتركه الكلام، "ضحك، تصديق، سخرية ... إلخ[12].

إن المنهجية المثلى لدراسة الخطاب الأدبي إنما تبلغ مرادها في التشكل السليم، حين تعتمد السياق أساسا موضوعيا للكشف عن الدلالات التي يتضمنها الخطاب، وحين تجعل الوحدات اللغوية ضمن سياقاتها المختلفة، الأمر الذي يقربها ضرورة من المعنى الشامل، لأنها بذلك تتناول العلاقة بين هذه الوحدات داخل العناصر المجاورة لها، ثم تتناول علاقتها بالبنية الكلية للنص، ما يدفع إلى البحث في السياق الخارجي، ويعكس المستوى الدلالي للخطاب وعلاقته بالمراجع الاجتماعية والثقافية له.

- أهمية السياق في تحليل الخطاب القرآني:

قد كان لفئات شُراح الدواوين والمجموعات من التراث العربي اجتهاد بالغ في دراسة السياق تطبيقيا و"جملة ما أورده الشُراح من تفسيرات لألفاظ الديوان هي تفسيرات أملتها معطيات السياق بنوعيه: اللغوي (سابق الكلام ولاحقه)، والاجتماعي (المقام)، وذلك لأنهم لم يكونوا يفسرون دلالات الألفاظ مفردة، وإنما كانوا يفسرون دلالات الألفاظ في نصوص، ولذا فمن البديهي أن يكون تفسيرهم محكومًا بما يحيط بهذه الألفاظ في تلك النصوص"[13].

وهذا ابن الأثير (ت:637هـ) على خطى الجرجاني يتنبه لتلك المزية التي تُنسَب للألفاظ حين تَتَابُعِها، ذاك أنه ثمة ما يمنحها تمايزا من خلال المعاني التي تعتريها وفقا للتركيب، ويخلع

عنها معانيها المحددة في حال الإفراد، ويجعل لها تلك الخصوصية. فمن خلال تأمله لقوله تعالى ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود:44]. يقول:" أنك لم تجد ما وجدته لهذه الألفاظ من المزيّة الظاهرة إلا لأمر يرجع إلى تركيبها، وأنه لم يعرض لها هذا الحسن إلّا من حيث لاقت الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة، وكذلك إلى آخرها... ومما يشهد لذلك ويؤيده أنك ترى اللفظة تروقك في كلام، ثم تراها في كلام آخر فتكرهها، فهذا ينكره من لم يذق طعم الفصاحة، ولا عرف أسرار الألفاظ في تركيبها وانفرادها"[14].

وللمفسرين مساهمات جليّة في توضيح دور السياق على تغير المعاني وتوجيهها، وتبدل الدلالات، ونلمس ذلك في حديثهم عن تغير معاني الأدوات النحوية بحسب السياق، ومنه قول أبي عبيدة (ت: 209هـ): "ومن مجاز الأدوات اللواتي لهن معان في مواضع شتى، فتجيء الأداة منهن في بعض تلك المواضع لبعض تلك المعاني، قال: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾[البقرة:26] معناه فما دونها، وقال: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾[النازعات:30] معناه مع ذلك، وقال: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[طه:71] معناه: على جذوع النّخل، وقال ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين: 2] معناه: من الناس، وقال: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف:52] معناه: بل أنا خير"[15].

ولابد من أن إسقاط دور السياق في التأويل كان سبب قصور فرقة المعتزلة في تحليل الخطاب القرآني، لأن معيار التأويل المقبول يستدعي توافر هذه الشروط الثلاثة: الأول: أن يكون موافقا لوضع اللغة، أو عرف الاستعمال، أو عادة صاحب الشرع، وكل تأويل خرج عن هذا فليس بصحيح. الثاني: أن يقوم الدليل على أن المراد بذلك اللفظ هو المعنى الذي حمل عليه إذا كان لا يستعمل كثيرا فيه. الثالث: إذا كان التأويل بالقياس فلا بد أن يكون جليا، لا خفيا[16]، ما يعني أن مراعاة هذه الشروط يجعل التأويل مقبولا والتأويل كما ذكر الغزالي (ت: 505هـ): «أما القول في التأويل فيستدعي تمهيد أصل وضرب أمثلة. أما التمهيد: فهو أن التأويل عبارة عن احتمال يعضده دليل يصير به أغلب على الظن من المعنى الذي يدل عليه الظاهر، ويشبه أن يكون كل تأويل صرفا للفظ عن الحقيقة إلى المجاز»[17]. أي أن صرف اللفظ عن حقيقته إلى المجاز هو التأويل، لهذا لابد من مراعاة المعيار اللغوي الذي يخضع بشكل واضح لسياق الخطاب، فالألفاظ تكتسب معناها من خلال سياق الجملة، التي تُوضح ما إن كانت تدل على الحقيقة أم المجاز. لكن المعتزلة في كثير من تأويلاتهم أسقطوا دور السياق. وذلك يبدو واضحا من خلال منهجهم في تفسير آيات القرآن الكريم، كمسألة رؤية الله عز وجل على ما يليق بجلاله فقد أولوا جميع النصوص الدالة عليها. فمثلاً الآيات التي تدل على رؤية الله تعالى كقوله تعالى:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:22،23]. وقوله تعالى: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ [المطففين: 23]. نجد المعتزلة ينظرون إليها بغير العين التي ينظر بها أهل السُّنَّة، ويحاولون بكل ما يستطيعون أن يُطَبِّقوا مبدأهم اللغوي، حتى يتخلصوا من الورطة التي أوقعهم فيها ظاهر اللفظ، فإذا بهم يقولون: إن النظر إلى الله معناه الرجاء والتوقع للنعمة والكرامة، واستدلوا على ذلك بأن النظر إلى الشيء في العربية ليس مختصاً بالرؤية المادية، واستشهدوا على ذلك بقول الشاعر: **وإذ نظرتُ إليك من ملك ... والبحر دونك زدتني نعماً**[18].

نلمس من هذا البعد التأثيري الذي تمارسه اللغة في المنهج المعتزلي، تحكيم أصل العقل في مقابل النص من خلال الأهمية التي مثلتها اللغة وتمكنهم القوي منها، فاستخدامها في تأويل ما يخالف الأصل العقلي من ظواهر النصوص، جعلها أساساً لإثبات أنَّ كل ما خالفها متشابه بدلالة تلك الأصول نفسها.

كما لجأ المعتزلة إلى ما يسمى التخييل لتأويل الآيات التي عارضتهم ففي قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة:255]، قال الزمخشري: «وما هو إلا تصوير لعظمته وتخييل فقط، ولا كرسي ثمة ولا قعود ولا قاعد، كقوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:67] من غير تصوّر قبضة وطيّ ويمين، وإنما هو تخييل لعظمة شأنه وتمثيل حسي »[19].

ومن أجل الخروج من الباب الواسع الذي فتحه المعتزلة للتأويل فقد: « حكموا على جميع محاولاتهم التي حاولوها في حل المسائل الموجودة في القرآن، بأنها مرادة لله تعالى، وغاية ما قطعوا به هو عدم إمكان التفسير المخالف لمبادئهم وآرائهم. وبدهيٌّ أن هذا الذي ذهب إليه المعتزلة، يخالف مذهب أهل السُّنَّة من أن لكل آية من القرآن معنى واحداً مراداً لله تعالى، وما عداه من المعاني المحتملة، فهي محاولات واجتهادات، يُراد منها الوصول إلى مُراد الله بدون قطع»[20].

إن تفسير النص القرآني بشكل سليم يستدعي بالضرورة تحييد المعتقدات الفكرية بل وإخضاع العقل للنص القرآني، لأن إخضاع النص القرآني للخلفيات المذهبية يؤدي إلى حدوث تصادم وتناقض بين الآيات. واعتقاد المفسِّر معنى من المعاني ومحاولة حمله لألفاظ القرآن على ذلك المعنى، يكون تفسيرا قاصرا، لأن ألفاظ القرآن الكريم تحتاج التعمق الشديد في دلالاتها، كما أن تفسير القرآن استنادا إلى الجانب اللغوي المحض دون تفعيل دور السياق يسلب اللفظ القرآني دلالته الوظيفية.

وتفعيل دور السياق يرجع لطبيعة المفردات القرآنية وما تتميز به من مزايا جمالية خاصة، حتى كانت لدلالات الألفاظ خصوصية تمنع إفادة غيرها بموقعها الذي تؤدي معناها

فيه "لأن التعبير القرآني تعبير فني مقصود كل لفظة بل كل حرف فيه وضع وضعا فنيا مقصودا، ولم تراع في هذا الوضع الآية وحدها ولا السورة وحدها بل روعي في هذا الوضع تعبير القرآن كله"[21]. والنظام القرآني أَسَّسَ لاتجاه جديد في بناء الجملة، وهو اتجاه الاستغناء عن أحد أركان الجملة إذ دلت القرائن والسياق على المعنى المقصود دون تقدير المحذوف، فدلالة التركيب بالتعبير تكفي لبلوغ المعنى بركن واحد[22]، لأن هذا العدول اللغوي هو انحراف لا يخرج عن النظام اللغوي العام، كما أن تحرك التراكيب اللغوية يكشف عن التحول الدلالي للخطاب إذ تختلف الدلالة باختلاف مواقع التراكيب.

- دور السياق في توجيه معنى القسم في القرآن الكريم:

إن لأسلوب القسم دور كبير في إبراز أهمية السياق لبلوغ المعنى الدلالي للخطاب، وتُفِيدُ تلك الإشارات التي أدلى بها النحاة والمفسرون في فهم دلالة أسلوب القسم في اللغة، وتُعِينُ على تأمل خصوصياته البلاغية في النص القرآني، فالقسم لغة كما ورد في اللسان « أقسم بالله تعالى واستقسمه به وقاسمه، حلف له»[23] والحلف معناه «اليمين وأصله العقد بالعزيمة والنية»[24]، وذكر الرازي أن الحاجة لذكر الحلف تحصل عند انقسام الناس عند سماع الخبر إلى مصدق به ومكذب به، فيعمل القسم على تأكيد الخبر وإحالة الصدق إلى القسم الذي اختير بواسطة الحلف واليمين[25]. فهو «يمين يقسم بها الحالف ليؤكد بها شيئا يخبر عنه من إيجاب وجحد»[26].

يُفهم من هذا أن أسلوب القسم مؤكد للكلام، وهذا التأكيد يأتي لإزالة الشك في الخبر وتفنيده ويعتبر القسم من الأساليب الكثيرة الاستعمال في القرآن الكريم إذ يمكن تصنيف القسم إلى[27]:

1- **قسم صريح**: وهو ما يستدل به بحرف القسم أو فعل القسم كقوله تعالى: ﴿**وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأنعام: 109].

2- **قسم غير صريح**: وهو ما يقسم فيه باستعمال الفعل مقدرا نحو قوله تعالى: ﴿**لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾ [آل عمران 186].

وعُدّت جملة القسم مكونة من جملتين جملة القسم وجملة جواب القسم فنجد ابن جني يقارن بينه وبين أسلوب الشرط إذ يقول: «يكون قولنا قام زيد كلاما فإن قلت شرطا: إن قام زيد، فزدت عليه "إن" رجع بالزيادة إلى النقصان فصار قولاً لا كلاما ألا تراه ناقصا ومنتظرا للتمام بجواب الشرط، وكذلك لو قلت في حكاية القسم: حلفت بالله أي كان قسمي هذا، لكان

كلاما لكونه مستقلا ولو أردت به صريح القسم لكان قولا من حيث كان ناقصا لاحتياجه إلى جوابه»[28].

انطلاقا من الدلالة العامة لأسلوب القسم سنحاول الكشف عن التحول الدلالي للمعنى من خلال السياق الوارد فيه، لأن القسم يعتبر عنصرا تأكيديا في التعبير البلاغي لحمل المخاطب على التصديق، وبالتالي فلابد أن يكون للسياق دور يسهم في توكيد المعاني وتقريرها في ذهن المتلقي، ولاشك في أن إدراك المعنى الذي يُسفِر عنه في هذا الصدد يتطلب فهم السياق ككل.

يأتي القسم بأحد الأفعال المختصة بذلك فمن الأفعال أشياء فيها معنى اليمين، يجري الفعل بعدها مجراه إذ يُعَد القول: والله، ذلك قولك: أقسم لأفعلن، وأشهد لأفعلن، فيكون تركيب جملة القسم فعل القسم نحو: أقسم، وحروف تعدي الفعل إلى المقسم به ومن ذلك القول: عليَّ عهد الله لأفعلن. فعهد مرتفعة وعليَّ مستقر لها. وفيها معنى اليمين.[29]. و«من أول الظواهر التي لفتت أنظار العلماء دخول (لا) على القسم في عدة آيات»[30].

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة:38،40]. والمعنى فلا أقسم «أي فأقسم على أن (لا) مزيدة للتأكيد وأما حمله على معنى نفي الأقسام لظهور الأمر واستغنائه عن التحقيق فيرده تعيين المقسم بقوله تعالى بما تبصرون»[31]، وقد ذكر الزمخشري أن مجيء (لا) مع القسم لغير هذا المعنى (أي التأكيد) في الإثبات، لا يأبى مجيئها في النفي، لأن (لا) لما زيدت مع القسم وإن لم يكن المقسم به، دل على ذلك على أنها إنما تدخل فيه لتأكيد القسم، فإذا دخلت حيث يكون المقسم عليه نفيا، تعين جعلها لتأكيد القسم، فقوله (فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون) يأبى استواء النفي والإثبات فيه[32].

تبدو الغاية من استخدام الفعل الماضي (أقسم) هي التأكيد، لأن الفعل الماضي يفيد القطع بوقوع الحدث، إذ تُفضِي دلالة هذا القسم إلى تأكيد صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وإثبات النبوة له، ويدعم هذا التأكيد مجموعة من القرائن التي تؤكد صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وتفند التُهم التي لاقاه بها المشركون من أنه قول شاعر وقول كاهن، ومن هذه القرائن الفعل المضارع (تبصرون) المثبت والفعل المضارع المنفي (لا تبصرون) متصلا بالواو الفاعلية المختصة بالفعل والحاضرة وقت الخطاب، وقد ورد مكررا مرتين ما يؤكد إنزال الوحي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وتجدده، وهو الأهم في تفنيد أقوال المعارضين.

ومادام القسم بكل ما يبصر الإنسان وما لا يبصر فإن الرسول صلى الله عليه وسلم صادق في إثبات وتأكيد دعوته وصموده أمام من يحاول تحدي القرآن الكريم، وقد ساهمت

الوسائط النحوية في توكيد صدق الرسول وقدرته على الاستمرار في التحدي، وهذا واضح في الجملة التأكيدية (إنه لقول رسول كريم) التي تظهر استحالة أن يكون هذا القول قول شاعر أو كاهن، لأن استخدام (لا) لنفي المضارع (تبصرون) تزيد من لهجة التحدي، فكأنه يقول إن كان في شعرائكم من يستطيع أن يأتي بمثله فليفعل وإلا فعليه الإيمان بأنه مُنَزل من عند الله عز وجل، إن هذا الاستدلال الخطابي يُثبِت العجز أمام فخامة البلاغة القرآنية، كما يُظهِر استصغارا لشأن المعارضين والمكذبين الذين هم أضعف وأعجز على التحدي إذ لم يستطيعوا طول هذه المدة.

وهناك من العلماء من ذهب إلى أن (لا) في هذا السياق نافية ففي قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾[الواقعة :75]، يقول الفراء في وظيفة لا هنا: «هي نفي، والمعنى ليس الأمر كما تقولون، ثم استأنف (أقسم)، وقد يقول الرجل: لا والله ما كان كذا فلا يريد به نفي اليمين بل يريد به نفي كلام تقدم أي ليس الأمر كما ذكرت بل هو هكذا»[33]، فالفراء يفسر مجيء القسم بالرد على قول المشركين مبتدأ بلا النافية، ردا لكلام قد مضى، ولو حذفت(لا) النافية التي وردت قبل استئناف القسم، كان استئناف القسم بمثابة القسم الذي يقع جوابا لذلك الكلام الماضي.

وذهب الرازي إلى أن الرأي المعقول هو اعتبار (لا) نافية على أن في الكلام مجازا تركيبيا، وتقديره أن نقول: (لا) في النفي هنا هي مثل (لا) في قول القائل: لا تسألني عما جرى علي، يشير إلى إن ما جرى عليه أعظم من أن يشرح أي المراد تعظيم الواقعة لا النهي، فمثل هذا موجود في القسم من وجهين: إما لكون الواقعة في غاية الظهور فيقول: لا أقسم لا يريد به القسم ونفيه وإنما يريد الإعلام بأن الواقعة ظاهرة، والوجه الثاني يعني أن قوله (فلا أقسم بمواقع النجوم) أي الأمر أظهر من أن يقسم عليه أو يشك فيه[34].

يتضح من خلال ذلك أن الاتساع الدلالي لأسلوب النفي وتأقلمه مع أسلوب القسم يُسهِم في إدراك المعنى المقصود للجملة، فإنه يمكن النظر إلى أن جملة النفي في هذا السياق إما للتأكيد على الأقسام بمواقع النجوم لعظمتها وتفخيمها عند الله عز وجل وإما لنفي القسم بمعنى أن الله لا يقسم بشيء من مخلوقاته فهي جواب لكلام مضى، ما يعني أن هذا الأسلوب يؤتى به إما لتأكيد النبأ المقسم عليه فيصير ظاهرا لا يحتاج إلى قسم ولتعظيم المقسم به، إذ لا يحتاج بهذا إلى تفخيم وإنما أقسم به للتأكيد، وإما أن يؤتى به لنفي القسم.

وقد يتضافر أسلوب الشرط مع أسلوب النفي ليدعمه في بلوغ المعنى الدلالي للقسم نحو قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23]. جزم آدم وحواء عليهما السلام بأنهما يكونان من الخاسرين إن لم يغفر الله لهما، إما بطريق

الإلهام أو الوحي، وأما بالاستدلال على العواقب بالمبادئ، وقد أكدا جملة جواب الشرط بلام القسم ونون التوكيد إظهارا لتحقيق الخسران استرحاما واستغفارا من الله تعالى[35]. فهذه الآية تعتبر جوابهما واعتذارهما، لما كان منهما فقد ظلما أنفسهما بارتكاب المعصية فهما في معرض الهلاك والخسران إن لم يغفر الله لهما لمّا أكلا من الشجرة[36].

الملاحظ أن استخدام القسم (لنكونن) كجواب للشرط يُحقِق غاية آدم وحواء في إثبات الندم والتوبة، وسبق الاعتراف بعاقبة من يعصي الله عز وجل بجملة الشرط التي تحمل دلالة الخضوع لحقيقة الإذناب ومن ثمة الاستغفار دعم لهذه التوبة، فالشرط بـ(إن) يأتي مؤكدا حصول الخسران بعدم حصول المغفرة، فلولا مغفرة من الله لكانا من الخاسرين، لأن القسم التأكيدي (لنكونن) يقضي بالقطع العام الدلالي للخسارة فلا سبيل للنجاة بعد ذلك إلا بمغفرة من الله.

إن هذه الأساليب المتناسقة أسهمت في توكيد المعاني وإقرارها فـ (إن) الشرطية الداخلة على جملة النفي (لم تغفر لنا) تُؤذِن بالجواب القسمي الذي ينبغي انتظاره، وتؤكد جملة الجواب (لنكونن من الخاسرين) المباينة الشديدة بين حالتيهما وقت ارتكاب المعصية وحالتهما بعد ارتكابها، فهما لم يمتثلا لأمر الله إذ نهاهما أن يقربا تلك الشجرة، ولَمَّا لم يستجيبا لذلك كانا ظالمين وهذه المعصية ثابتة منهما هذا ما تؤكده جملة القسم، لكن الذي يتغير ويتجدد هو (إن لم تغفر لنا وترحمنا) فالجملة الفعلية تؤكد أن المغفرة والرحمة من الله عز وجل للتائبين وتتجدد بتجدد استغفارهم وبمشيئة من الله، وهنا يتجسد دور جملة الجواب إذ تأتي جازمة وقاطعة بأنهما سيخسران إن لم يتحقق الشرط لا في تلك اللحظة ولا في المستقبل، ذلك ما ينبو به جواب الشرط المؤكد بلام القسم ونون التوكيد، فالمعنى الدلالي العام الذي نستشفه من السياق لهذه الآية يأتي نتيجة اتحاد الشرط والنفي والقسم.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿**قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا**﴾ [مريم:46]. قوله: لئن لم تنته لأرجمنك تهديد وتحذير عما كان عليه من العظة والتذكير، فمعناه والله لئن لم تنته عما كنت عليه من النهي عن عبادتها لأرجمنك بالحجارة وقيل باللسان، واهجرني مليا بمعنى احذرني واتركني زمنا طويلا[37]، ولام القسم في قوله (لئن) موطئه للقسم تأكيدا لكونه راجمه إن لم ينتهي عن كفره بآلهتهم، وجملة واهجرني مليا عطف على جملة لئن لم تنته لأرجمنك وذلك أنه هدده بعقوبة آجلة إن لم يقلع عن كفره وبعقوبة عاجلة وهي طرده وقطع مكالمته[38].

حيث تتنوع الوسائل المؤكدة في هذه الآية بدءا باللام الموطئة للقسم يليها الشرط التأكيدي بجملة النفي (لم تنته) والتي تفيد تأكيد النفي، إلى القسم وجوابه المؤكد بنون

التوكيد الثقيلة (لأرجمنك) ثم العطف المؤكد لجواب القسم (واهجرني مليا)، ولكن الدور الأبرز بين هذه الوسائط المؤكدة هو المدلول الذي تُلقِي به جملة الشرط (لم تنته) فهذه الجملة تقطع بما تقطع به اللام الموطئة للقسم وإن الشرطية من عدم امتثال إبراهيم عليه السلام لأمر أبيه بالانتهاء عن الكفر بآلهته، لأن استخدام هذه المؤكدات التي تدل على حدة اللهجة التي خاطب بها ابنه تهديدا وتحذيرا منه تنبو عن إصراره على الكفر في حين يُصِر نبي الله إبراهيم عليه السلام على دعوته إلى التوحيد، فاستَخدَم هذه اللهجة بعد أن أيقن أنه لن يكف عن احتقار آلهته. إذ هذا القطع الحاصل جر العقوبة الحاصلة له وهي جواب القسم (أرجمنك) الذي يحمل دلالة المبالغة في التهديد المؤكد بالجملة المعطوفة (واهجرني مليا)، لنشعر من هذا أن والد إبراهيم عليه السلام اضطر إلى استخدام هذه الطريقة العنيفة في القسم ليؤكد صدق ولائه لآلهته وجدية معاقبة من يَطالها بسوء أيًا كان. وهذا التأكيد على الحمية الثائرة للأصنام أسهم العطف في إبرازها بشكل كبير إذ أضاف الحدث الذي تحمله الجملة الأولى وهو العقوبة الآجلة إلى الحدث الذي تحمله الجملة الثانية أي العقوبة العاجلة، ما يجعل المعنى أعمق في ذهن المتلقي ويُبرِز الغاية التي يُحقِقُها القسم.

ومن الواضح أن جملة جواب القسم تصلح لأن تكون جوابا للشرط ولهذا حُذِف جواب الشرط فجملة (أرجمنك) تفي بالغرض وهذا الاكتفاء هو استعمال حيوي فقد جاء الشرط بـ(إن) والتي تُفِيد أن ما حدث غير متوقع الحدوث مع أن كفر إبراهيم عليه السلام بالأصنام قد صدر منه، فهذا الاستعمال للشرط فيه تعجيب من حال عدم الانتهاء ما يعني أنه كان يتوقع أن ينتهي ويعبد الأصنام مثله، وهنا يتجلى دور النفي بـ(لم) الذي قطع وجزم بوقوع الحدث، ليكون جواب الشرط هو جواب القسم الذي نال العناية من خلال القطع بضرورة الرجم، وذلك يؤكد على حقيقة التهديد وشدته ويدفع ذهن المتلقي للتركيز على معنى الجواب ومدى فظاعته إذ يحمل مجموعة من المدلولات التي تجعل المتلقي يُدرك شدة الغضب الذي انتاب والد إبراهيم عليه السلام فمعنى لأرجمنك "لأرمينك بلساني، يريد الشتم والذم، ومنه الرجيم المرمي باللعن، أو لأقتلنك، من رجم الزاني، أو لأطردنّك، رميا بالحجارة وأصل الرجم: الرمي بالرجام"[39].

لنلحظ من هذا الشحن الحيوي للجمل تأثيرا انفعاليا يعمل على بلوغ عمق الإحساس الباطن لصاحب الخطاب، وما ذاك إلا أن الأسلوب القرآني ينتقي أخير الأساليب ويُوظِف أدق التراكيب التي تُحرِك الذهن المتلقي ليتفاعل مع الخطاب ويشارك بكيانه في تحديد الصواب، فتوجيه الخطاب بمختلف المواد اللغوية يُؤدِي إلى خلق الدلالة الموحدة للنص.

ولا بد من أن نشير إلى أهمية السياق في هذه النماذج، لأن أسلوب القسم الذي يبرز بوصفه وسيطاً أسلوبيًا غايته التأكيد وحمل المخاطب على التصديق، يتوجه عن دلالته الرئيسية بحسب مقتضيات السياق، ليشمل مجموعة من الإيحاءات كالتحدي والتعجب والتهديد والتطلع التي تحقق مناسبة أو مفارقة في المعنى، وتمتد قرينة السياق من اللغة إلى مجموعة كبيرة من القرائن تتعلق بالجانب النفسي لكل من الملقي والمتلقي، والعرف الاجتماعي لأصحاب الخطاب وكذلك البيئة المصاحبة لظروف الخطاب.

واللغة في معظم دلالاتها إنما تعتمد على السياق، فنرى الشعراء يأتون بالجمل مثبتة، وهم يريدونها منفية ثقة منهم بفهم السامع، واعتمادًا على السياق، وهذا امرؤ القيس يقول: "فقلت: يمين الله أبرح قاعدا"، وهو يريد يمين الله لا أبرح، ولكن لما كثر في كلامهم استعمال هذا الفعل مع النفي حذفه، وأبين من هذا قوله تعالى: في حكاية قول أخوة يوسف لأبيهم: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ [يوسف:85]. والأصل لا تفتأ تذكر يوسف حتى تفنى وتبلى، قال ابن أبي الإصبع: إنه سبحانه أتى بأغرب ألفاظ القسم بالنسبة إلى أخواتها، فإن والله وبالله أكثر استعمالا وأعرف عن الكافة، من تالله لما كان الفعل الذي جاور القسم أغرب الصيغ التي في بابه، فإن كان وأخواتها أكثر استعمالًا من تفتأ وأعرف عند الكافة، ولذلك أتى بعدها بأغرب ألفاظ الهلاك، وهي لفظة الحرض[40].

لأن أسلوب القسم في هذا السياق الذي يحمل مجموعة من القرائن المؤكدة لغرابة الحال، يدل على استنكار مرادهم حمل أبيهم على نسيان ولده، وإذا تنبهنا إلى حذف حرف النفي، أدركنا مقدار الحساسية الشديدة لدى يعقوب عليه السلام اتجاه الأمر، وهو ما دفع بأولاده إلى إخفاء مبتغاهم من خلال هذا الحذف، وتأتي لفظة "الحرض" قاطعة بغرابة هذا السلوك. وهنا تتكشف المباينة بين حرص يعقوب عليه السلام على ذكرى ولده وبين حرص بقية أولاده على نسيانه، وعليه فإن استشفاف المقصد البلاغي للقسم بأنه الإنكار والاستغراب يأتي مصبًا للسياق الذي أسهم في توكيد المعنى، كما أسهم في تشويق الذهن لإدراك تلك الحال "حتى تكون حرضًا"، وحذف النفي الذي يثير ذهن المتلقي، يدل على محافظة أولاد يعقوب عليه السلام على إصرارهم إبعاد يوسف عليه السلام من قلب أبيهم، لكن هذا السياق الذي يعجّ بالكلمات الغريبة، يناسب خال المُخاطبين ويجعل مقصدهم متوقعا حاضرا في الذهن.

ولعلنا بالجدول التالي نستطيع تقديم ما يكشف عما يقدمه السياق في القرآن الكريم في سبيل صنع المعنى الكلي للنص، من خلال رصد القرائن السياقية التي تؤكد المعاني لأسلوب القسم:

معاني القسم في ظل توجيه السياق:

الآية المتضمنة لأسلوب القسم	المعنى العام	المعنى السياقي الخاص	القرائن السياقية الدالة على المعنى.	أثر السياق في تحول معنى القسم
قال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة:38.40]	صدق الرسول صلى الله عليه وسلم.	تأكيد قدرة الرسول صلى الله عليه وسلم على التحدي وعجز المعارضين.	القسم + الفعل المضارع (تبصرون) المثبت والفعل المضارع المنفي (لا تبصرون) متصلا بالواو الفاعلية المختصة بالفعل + الجملة التأكيدية (إنه لقول رسول كريم) التي تظهر استحالة أن يكون هذا القول قول شاعر أو كاهن.	بما أن السياق سياق تحدي ومعارضة فقد تحول معنى القسم من مجرد دحض الفكرة المخالفة وتأكيد الخطاب، إلى لجهة التحدي وهذا القسم يحمل دلالة الاستدلال الخطابي لفخامة البلاغة القرآنية.
قال تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23]	الندم والتوبة.	تصوير سوء عاقبة من يعصي الله عز وجل.	القسم(لنكونن) + إن الشرطية + جملة الشرط (لم تغفر لنا وترحما) التي تؤكد أن المغفرة والرحمة من الله عز وجل للتائبين وتتجدد بتجدد استغفارهم وبمشيئة من الله + جواب الشرط (لنكونّ من الخاسرين).	بما أن السياق هو سياق إقرار آدم وحواء عليهما السلام بالذنب الذي اقترفاه، فإن القسم الوارد في هذه الآية قد انتقل بمعنى القسم من تأكيد ثبوت المعصية منهما إلى القطع العام بالخسارة لكل من يعصي الله عز وجل.
قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم:46]	تعظيم عقيدة التوحيد.	إظهار قوة إيمان إبراهيم عليه السلام رغم التهديد	القسم وأداة الشرط (لئن) + جملة الشرط التأكيدي (لم تنته) + القسم وجواب القسم (لأرجمنك) + العطف وجواب القسم (واهجرني مليا).	إن السياق الذي ورد فيه هذا القسم هو سياق تهديد وتحذير والد إبراهيم عليه السلام له بالرجم إذا طال آلهته بالسوء ولم ينته عن الكفر بها، فتحولت دلالة القسم من الإصرار على عبادة الأصنام والتأكيد عليها إلى دلالة المبالغة في التهديد وإظهار صدق ولائه لآلهته وجدية معاقبة من يَطالها بسوء أيًا كان.
﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ [يوسف:85]	ذكرى يوسف عليه السلام وعدم نسيان يعقوب عليه السلام له.	إشفاق أبناء يعقوب عليه السلام على حال أبيهم من ذكرى ولده.	القسم (تالله) + جملة جواب القسم (تفتؤا تذكر يوسف) + حذف حرف النفي (لا تفتأ) + لفظة (حرضا) لما تُلقي به من دلالة الاستغراب.	لما كان السياق سياق استغراب لحال يعقوب عليه السلام وإشفاق عليه من بنيه، انتقلت دلالة القسم من تأكيد سوء حالته إلى الإنكار عليه لصده عن ذكر يوسف عليه السلام لعله ينسى.

يُظهِر الجدول التحليلي السابق أن الدلالة التي يُلقي بها القسم تتكئ بقوة على السياق، وتعتمده في إحداث التأكيد المعنوي وتكثيف الدلالة، وزيادة على وظيفته التي تقضي بالشك في الفكرة المخالفة، فإن ملاحظة السياق تفتح الطريق نحو النص بكليته وما يتميز به من خصائص لتمنحنا إمكانية الكشف عن مجموعة من الدلالات التي تكتنف الخطاب المشتمل على أسلوب القسم (أنموذجا) أو بقية الأساليب البلاغية. وذاك لأن اختيار الفكرة يتضمن اختيار الرموز اللغوية التي تحملها، ولأن هذه الفكرة المختارة تكتسب الطابع الانفعالي والتركيبي فإن أسلوب القسم بدلالته التأكيدية، يستحوذ على انتباه السامع، فيمتلك مشاعره، ومن هنا يعمل السياق على تفعيل ذهن هذا المتلقي ليطارد تلك الدلالات التي يطرحها الخطاب.

مراجع البحث وإحالاته:

1- مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب- القاهرة، 1998م، ص:82.

2- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة 1413هـ - 1992م، ص:261.

3- سيبويه، الكتاب، تحق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط.3، 1988م، ج 1، ص:343.

4- المصدر نفسه، ج 1، ص: 346.

5- ينظر: هند بنت عبد الرزاق هويل المطيري، النفي في نقائض جرير والفرزدق، دراسة أسلوبية، مركز حمد جاسر الثقافي، الطبعة الأولى 1429هـ/2008م، ص:74.

6- ينظر: شكري عياد، اتجاهات البحث الأسلوب: الرياض: دار العلوم، ط.1، ص:150.

7- محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، الطبعة: الثانية – القاهرة،1997م، ص:252.

8- شكري عياد اتجاهات البحث الأسلوبي، ص: 105.

9- المرجع نفسه، ص: 148.

10- المرجع نفسه، ص: 150.

11- المرجع نفسه، ص: 151.

12- ينظر: محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص:253.

13- عبد الكريم جبل، في علم الدلالة: دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات، السويس: دار المعرفة الجامعية، 1997م، ص:63.

14- ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ج 1، ص:166.

15- أبو عبيدة معمر بن المثنى، مجاز القرآن، تحق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجي، القاهرة، عام:1381هـ، ص:14.

16- محمد الشوكاني، إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، تحق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - كفر بطنا، دار الكتاب العربي، الطبعة: الأولى 1419هـ - 1999م، ج 2، ص:34.

17- أبو حامد الغزالي، المستصفى، تحق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1413هـ - 1993م، ج 1، ص:196.

18- ينظر: محمد السيد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة: وهبة- القاهرة، ج 3، ص: 267.

19- الزمخشري، الكشاف، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1407 هـ، ج 1، ص: 130.

20- محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج 1، ص:267 .

21- فاضل السامرائي، التعبير القرآني، دار عمار عمان- الأردن، الطبعة الرابعة1427 هـ/2006م، ص:11.

22- ينظر: كريم حسين ناصح، نظرات في الجملة العربية، دار صفاء- عمَّان،، الطبعة الأولى: 1425هـ/ 2005م ص:51،55.

23- ابن منظور، لسان العرب، مادة "قسم"، دار صادر- بيروت، الطبعة الثالثة 1414هـ، ج5، ص: 406.

24- المصدر نفسه، مادة "حلف": ج 9، ص:53.

25- ينظر: الرازي، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط.3، - 1420 هـ، ج13، ص: 112.

26- ابن سيده، المخصص، تحق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ/1996م، ج 4، ص:71.

27- ينظر: فاضل السامرائي، معاني النحو، ج 4، ص: 538،539.

28- ابن جني، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة، ج 1، ص:20.

29- ينظر: سيبويه، الكتاب، ج 3، ص:101 وص:503.

30- حسين نصار، القسم في القرآن الكريم، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط.1، عام2000م، ص: 51.

31- أبو السعود، إرشاد العقل السليم، دار إحياء التراث العربي بيروت، ج 9، ص: 27.

32- ينظر: الزمخشري، هامش الكشاف، ج 1، صص: 528- 529.

33- ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحق: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ، ج 17، ص: 223.

34- ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط.03عام1420هـ، ج 29 ، ص: 425-426.

35- ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ج 8، ص: 67.

36- عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، ج 4، ص: 382.

37- ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج 5، ص: 268.

38- ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 16، ص: 119- 120 .

39- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 3، ص: 20.

40- ينظر: محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، الطبعة: السابعة، ص:157.